43 - إنّ َ الْبَيْعَ مُرْتَخَصٌ وَغَالٍ .

قالوا : أول مَنْ قال ذلك أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح الأوْسِيّ ُ سيد يثرب وكان سبب ذلك أن قيس بن زهير العبسي أتاه - وكان صديقا له - لما وقع الشر بينه وبين بني عامر وخرج إلى المدينة ليتجَهّ َز لقتالهم حيث قتل خالدُ بن جعفر زهيرَ بن جَذِيمة فقال قيس لأحَيْحَة : يا أبا عمرو نُبّ ِئت أن عندك دِرْعا فبِعْنِيهَا أو هَبْها لي فقال : يا أخا بني عَبْس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل [ ص 20 ] عنه ولَولا أني أكره أن أستلئم إلى بني عامر لوهبتها لك ولحملتك على سَوَابق خيلي ولكن اشْتَرِها بابن لَبُون فإن البيع مرتخص وغال فأرسلها مثلا فقال له قيس : وما تكره من استلآمك إلى بني عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول : .

إذا ما أرَدْتَ العزّ َ في دار يثرب ... فنادِ بصوتٍ يا أحَيْحَةُ تُمْنَعِ .

رأينا أبا عَمْرٍ وأحَيْحَةَ جَارُهُ ... يَبيتُ قريرَ العين غيرَ مُرَوّعِ .

ومن يأتِهِ من خائِفٍ يَنْسَ خوفَه ... ومن يأته من جائِعِ البطنِ يَشْبَعِ .

فضائلُ كانت للجُلاَح قديمة ... وأكْرِمْ بفَخْرٍ من خصالك أربع .

فقال قيس : يا أبا عمرو ما بعد هذا عليك من لوم ولهى عنه